# الدروس التربوية

# من الأمثال القرآنية

أ. أناهيد بنت عيد السميري

رمضان ١٤٤٥ من الهجرة النبوية

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

https://anaheedblogger.blogspot.com

**تنبيهات هامة:**

- منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.
- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- الكمال لله -عزَّ وجلَّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، ونسأله بمنّه وكرمه كما منَّ علينا أن نكون من أهل الإسلام، أن يمنَّ علينا بالثبات عليه، وكما منَّ علينا بالقرآن، نسأله -سبحانه وتعالى- أن يكون سببًا لإخراجنا من الظلمات إلى النور. كنا وقفنا مع هذه السورة العظيمة؛ سورة إبراهيم. إبراهيم -عليه السلام- إمام الموحدين، الذي هو رمز للحنيفية السمحة عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة واتم التسليم. إبراهيم -عليه السلام- الذي صارع قومه، وناقشهم وجادلهم، فصارعوه وحبسوه وقذفوه في النار، وفعلوا فيه الأفاعيل، ونجاه رب العالمين. جاءت سورة إبراهيم، وهي من السور التي تبتدئ بالحروف المقطعة (الر)، وهي من السور المكية، وفيها إشارة لهذا الصراع بين الحق والباطل، وأن الأمر يحتاج إلى صبر ويقين وثبات، فسورة إبراهيم تتكلم عن هذه اللحظات الخطيرة التي يكون فيها الصراع بين الحق والباطل. فرأينا في مطلع السورة كيف الخطاب للنبي

-صلَّى الله عليه وسلَّم- أنه مأمور أن يخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم، وكيف أنه مطلوب منه تعريف الناس بالله، من هو الله، من هو الذي سنعبده، عرف نفسه -سبحانه وتعالى- أن له ما في السماوات وما في الأرض، وعرفنا أن هناك كافرين ممتنعين عن استقبال النور، ربنا بيّن وظيفة الرسول -صلَّى الله عليه وسلَّم- ووظيفة الرسل جميعًا، وهي: إخراج الناس من الظلمات إلى النور، وبيّن أن هناك ممتنعين.

اليوم سنضيف إضافة مهمة في الآية الثالثة: أن رب العالمين لما أخبر عن هؤلاء الكفرة الفجرة، الذين لهم عذاب شديد، الذين هم الطرف الثاني في الصراع، يصارعون الحق، يمتنعون هم عن الخروج من الظلمات إلى النور ويمنعون غيرهم أيضًا، هؤلاء وصفهم رب العالمين في الآية الثالثة بوصف واضح وهو أنهم: (يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ). "السين" هنا تؤكد أنهم يتطلبون هذه المحبة، ويفعلون كل شيء من أجلها.

وأيضًا من حالهم أنهم بسبب الصفة الأولى، تأتي الصفة الثانية وهي أنهم: (يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ) وأنهم (يَبْغُونَهَا عِوَجًا)، وهذه الصفات كلها مرت معنا سابقًا، مر معنا (إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ

الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا) هؤلاء هم الذين (يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ)، فهذا يسبب لهم أن يقفوا في وجه الحق. هذا أمر مهم أن نفهمه، الله أنزل الكتاب على النبي لوظيفة؛ لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، هذا الكتاب لو استسلم له الناس لخرجوا من الظلمات إلى النور، والنبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- لما عرضه على الناس حصل أن خرج الناس من الظلمات إلى النور، وهذا كله بتوفيق من الله.

هل القرآن يخرج كل الناس من الظلمات إلى النور؟

نعم، القرآن يخرجهم من الظلمات إلى النور بإذن ربهم، لكن هل الناس مستعدون للخروج؟ هل يريدون؟ لا، هناك أناس معترضون، هذا وصفهم (أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ).

ثم أخبر الله -عزَّ وجلَّ- أخبارًا عظيمة عن موسى -عليه السلام-؛ أنه أخرج الناس، أنه قام بنفس الوظيفة (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا) هذا فعله (أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ) هذه هي أفعال الأنبياء؛ إخراج الناس من الظلمات إلى النور، لكن هناك أناس يستحبون العمى على الهدى، والظلمات على النور! فيجادلون، ولما أتاهم الأنبياء (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي

أَفْوَاهِهِمْ) كما تبين لنا أنهم من غيظهم، من كراهيتهم أن يحصل لهم تغيير فكري فردوا أيديهم في أفواههم، وأعلنوا الكفر، وأعلنوا أنهم في شك، وناقشتهم رسلهم.

في نهاية هذا الموقف كله نجد هذه الحقيقة التي مرت معنا، والحقيقة بهذه الطريقة تنظر بها إلى أعمال الكافرين؛ لأن هذا الكلام كل فترة نتيجة ضعف الإيمان ونتيجة الهزيمة النفسية، كل فترة يأتي أحد يتكلم عن أحد كافر وكانت له أعمال في الدنيا، كانت له اختراعات، كانت له بصمات، كما يعبرون في الحضارات الإنسانية، كان له حتى أعمال خيرية، فيطالب أهل الإيمان بأن يترحموا عليهم، أو يقول: "لا تمنعوا الناس أن يترحموا عليهم." إنسان عاش حياته كلها لا يطلب رحمة الله، فهل تريد منا أن نعتقد أن الله يرحمه، بل وتريد منا أن نترحم عليه؟! فيأتي يكتب مقالات أو ينادي بصوته "أن هؤلاء فعلوا وفعلوا وأنتم ماذا فعلتم؟" فماذا يفعلون؟ يجعلون الكفر مثل الإيمان، ويتكلمون عن أعمال -حتى لو كانت في ظاهرها بر- على أساس أنها سبب لقبول الله، فتكررت هذه الأمثال من أجل أن تكونوا على يقين بمفهوم سهل، بسيط، واضح، تكرر في هذا الدين، «إِنَّما الأعْمالُ

بالنِّيّاتِ»[1]، ماذا كانت نيته لـما عمل أي عمل من هذه الأعمال، تريد أن تقنع نفسك أن الكافر مثل الـمؤمن؟! كم فرق الله في القرآن بينهم؛ لذلك انظر حين أخبرنا رب العالـمين عن هذا الصراع، ماذا قال أهل الإيمان؟ قالوا (وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الـمؤْمِنُونَ (11) وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الـمتَوَكِّلُونَ (12) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا) احتدم الصراع، يجب أن يبقى في ذهننا أن هناك صراع شديد؛ لذلك حين يأتي اليوم مثَل الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة سنرى على ماذا يدور الصراع.

رب العالـمين، بعد أن أخبرنا عن هذا الصراع، وأخبرنا أن من غرورهم وكبرهم استفتحوا وقالوا: "إذا كان عندك عذاب، هات العذاب" رب العالـمين أخبرنا بخيبتهم (وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (15) مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ (16) يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الـموْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ) ولا تقل "إن لهم أعمال بر وخير في الدنيا"، هذه الأعمال فقدت العنصر الساسي وهو عنصر

---

[1]() أخرجه البخاري (6953).

الإيمان كما سيتبين في مثل الكلمة الطيبة. يقول قائل: "لكن هؤلاء لهم أعمال، عندهم مستشفيات، عندهم أعمال خيرية، تبرعوا بأموالهم؛ أرقام فلكية في التبرعات." حتى ولو كانوا صادقين في هذه الأعمال، إلا أن (أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ) ليس له قيمة؛ لأنه ليس على أساس الإيمان كما سيتبين في مثل اليوم. فالإيمان قبل الأعمال الصالحة، كلنا نحفظ، صغيرنا وكبيرنا «إِنَّما الأعْمالُ بالنِّيّاتِ» فأعمالهم (مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَالُهُمْ) هذه (كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ) يوم القيامة لن يستفيدوا منها شيئًا. والنبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- سألته أمّنا عائشة -رضي الله عنها- عن ابن جدعان، وهذا رجل كان له أعمال، قُلْتُ لرسولِ اللهِ -صلَّى الله عليه وسلَّم- إنَّ ابنَ جُدعانَ في الجاهليَّةِ كان يَقري الضَّيفَ ويُحسِنُ الجوارَ ويصِلُ الرَّحِمَ فهل ينفَعُه ذلك؟ قال: «لا إنَّه لم يقُلْ يومًا قطُّ: اللَّهمَّ اغفِرْ لي خطيئتي يومَ الدِّينِ»[2]، يعني ما كان مؤمنًا بالله واليوم الآخر، وهذا هو شرط القبول؛ أن تؤمن بالله واليوم الآخر وتعمل على ما أمر

---

[2]() أخرجه ابن حبان في صحيحه (330).

الله، فلا يغرنكم ما يظهر من أعمال، لا يحزن أحد على هؤلاء، هؤلاء تركوا أساس العمل وهو الإيمان. وهل كانوا متمكنين من الإيمان؟ نحن متيقنون أنهم كانوا متمكنين، ولا يمكن أن نظن أن رب العالمين يحاسب الناس على شيء ويظلمهم فيه، أبدًا والله، وإذا سأل الإنسان: كيف يصل إليهم الإيمان -يريد جوابًا لذلك-؟ فجوابه: كما تصل إليهم أرزاقهم، طعامهم، وشرابهم، وهم في مجاهيل الأرض، تصل إليهم الهداية، وقد مر معنا أن الفطرة السوية تدل دلالة إجمالية على الإيمان.

ما مر معنا أمس واضح، أن (أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ)، وكنا نقول إن كلمة (أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ)، كافية لضياعها، معناه أنه ليس لعملهم قيمة مهما كان ظاهره صلاحًا أو ظاهره شيئًا تستحسنه النفس، ليس كرماد فقط، بل (كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ) معناها أنه ليس اشتدت عليه الريح، بل اشتدت به، ولو قلنا (اشْتَدَّتْ بِهِ) معناها حملته الريح وأخذته بعيدًا عن المكان. (اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ) ليست في نفس المكان. كان يكفي للتعبير أن يقول: "رماد" لكن رب العالمين لم يقل: "جاءت الريح" بل (اشْتَدَّتْ) ، من الشدة، وليس "عليه"، بل (بِهِ) الريح، وليست "ريحًا" وسكنت، بل (فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ) طوال اليوم، في يوم

صفته أنه (عَاصِفٍ) ، فتصور شيئًا جميلًا احترق، ما بقي منه إلا الرماد، كان يكفينا أنه "رماد"، لكن ليس "رماد" فقط، بل فوق أنه رماد جاءت ريح شديدة وحملته واشتدت به بعيدًا، تصور هل أحد يستطيع أن يجري ويلم هذا الرماد ويجمعه؟! ما بقي شيء؟ فهكذا لو تصورت أعمال أهل الكفر، يقول أحد: "أعمال طيبة، جليلة" مهما كانت جميلة فالكفر هنا كأنه أحرقها! وليس فقط أحرقها، بل بعدما أصبحت رمادًا طارت في الأفق. معنى ذلك أن أهل الإيمان يعرفون أن سبب قبول الأعمال هو الإيمان. وسيتبين لنا الآن من خلال مناقشتنا للمثلين الأخيرين اللذين في سورة إبراهيم.

الكلام الذي أعدناه، أعدناه حتى نستحضره ونحن نفهم الآيات التالية. المثل الذي في الآية (24)، نبدأ أولًا بقراءة الآية التاسعة عشر والآية العشرون، وبعد ذلك ننظر لبقية السياق:

(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (19) وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ)

هذه الآيات المباركات أتت بعدما سمعنا وفهمنا الصراع بين الرسل والأقوام، وماذا قالت الرسل وكيف ردت الأقوام وكيف تكلموا عن الشك، إلى أن وصلنا أن هؤلاء مكانهم النار. وضُرب مثال لأعمالهم التي لم تبنَ على الإيمان فلا تغتر بها.

الآن يأتينا تجديد للحقيقة التي يجب أن تكون على بالك، وهذه الحقيقة أتت في بداية السورة، من هو الله؟ (لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) وجاءت في أثناء السورة، في أثناء كلام موسى -عليه السلام-: (لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) أخبار عن الله. (أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ) ومن جديد الآن تجدد هذه المسألة: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ) هناك حقيقة، ما خلقها عبثًا وما تركنا سدى، بل قامت السماوات والأرض ليظهر هذا الحق، وليكون الناس على بينة من أمرهم فالسماوات والأرض مليئة بالأدلة الواضحة التي لا تجعل للشك طريقًا أبدًا؛ ولذلك أهل الإيمان يتفكرون في خلق السماوات والأرض، ويكررون هذا المعنى: (رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ) ليس للعبث! السماوات والأرض خلقتا لغاية عظيمة، خلقتا لتعرف الله. وهذا الصراع الذي

تعيشه وتسمعه عن الحق والباطل من أجل أن تزكو نفسك وتكون في صف الحق، وتكره الباطل وترفضه، ولذلك يذكرنا رب العالمين أننا عبيد في مملكته، ننظر إلى ما خلق ونتأمل ونستفيد وتزكو نفوسنا وتتمتع بالجمال وبالجلال الذي نشهده في هذا الكون العظيم.

(إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ) إذا ما قمتم بهذا الحق يذهبكم الله (وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ) وهل تظن ذلك على الله عزيزًا؟ لا والله! ربنا، كما سمعنا من أول السورة هو العزيز الحميد. (وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ) إذا ما قام هؤلاء الناس بالحق، فالله قادر على أن يستبدلهم وأن يأتي بقوم يقومون بهذا الحق، يذكرنا رب العالمين بهذه الحقيقة من أجل أن نقف صلبين متمسكين بكلمة الحق. نقضي أيامنا ولياليا في زيادة الإيمان، والثبات على الحق، ونعرف أن الحق يصارع من أهل الباطل، وسنرى الآن الخطر الذي يحيق بأهل الإيمان، بل يحيط بالإنسانية كافة إذا لم تتبع إرشادات الرحمن، وإذا ما قبلت ما جاءت به الرسل، إذا ما قبلت ما جاء به نبينا الكريم الذي أمر أن يخرج الناس من الظلمات إلى النور.

تأتينا الآيات التالية إلى الآية (23) فيها أخبار عما سيكون يوم القيامة، ونحن به متيقنون، عما سيكون يوم

القيامة للقوم الذين لم يتبعوا الحق، ولم يقوموا للحق، ولم يتصلبوا بالحق، وسيتبين لنا أن فيهم قادة وأتباع، وسنرى مشهدًا من المشاهد الخطيرة المتكررة في القرآن؛ حوار سيكون إلا ولا وبد، ثم نسمع عن أهل الإيمان، وهم بعيدين تمامًا عن هذا الحوار، وهم في هذا الحال، في نعماء الله. نقرأ من الآية (21) إلى (23):

(وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ ۖ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ (21) وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم ۖ مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (22) وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ)

هذه الآيات المباركات إشارة إلى هذا الصراع الذي كان في الدنيا، الآن سيكون مشهدًا واضحًا لكن صراع من نوع آخر. صراع بين الضعفاء والمستكبرين، أولًا

تسمع كلمة (وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا) هل كانوا خافين حتى يبرزوا؟ لا، هذا يوم القيامة، الناس كلهم على صعيد واحد، لا شيء يُخفيهم، لا عوجًا ولا أمتًا، هنا ربما يشار إلى أنهم في موقف القيامة ظهروا في تلك الأرض الواسعة، وأصبح الأشهاد كلهم ينظرون إليهم بعد أن كانوا يستخفون في الدنيا ويظنون أنهم يستخفون على الله. الآن وهم كانوا يدبرون ويخططون ويمكرون الليل والنهار لهدم الدين، أصبحوا ظاهرين والناس كلهم ينظرون إليهم. انظر كيف سيكون هناك جدال ونقاش بين الضعفاء وبين الذين استكبروا. وهنا لا بد أن نتصور ما معنى الضعف، هل الضعفاء ما لهم قوة بدنية؟ ليس هذا هو المقصود، هل ضعفاء العقل؟ لا يدركون مصالحهم، لا، ليس هذا هو المقصود، وإنما يمكن أن نصفهم بأنهم ضعفاء في يقينهم وإيمانهم، ضعفاء في تفكيرهم وتقليب الأمور واتخاذ القرارات. بتعبيرنا العامي "كلمة توديهم وكلمة تجيبهم" ما يتحققون، ما يفكرون، ما يراجعون، ما يستشيرون، إنما شاع شأن تكلموا به، ما يتحققون من شأنهم. هؤلاء الضعفاء ربما أثر عليهم القادة الفكريين، المستكبرين برأيهم، الذين يتكلمون في المسألة كأنها جزمًا حقًا، أهل

الاستكبار يتكلمون في أي مسألة كأن الكلمة الأخيرة لهم. فهؤلاء الضعفاء حين يقعون في يد مثل هؤلاء المتكبرين الذين يشعرون الناس الذين حولهم أنهم هم يفهمون والبقية لا يفهمون، وهم الباحثين والبقية كأنهم وكّلوهم في اتخاذ القرارات وفي فهم الأمور، فالقول ما قالوا.

وحين تتصور فرعون كيف يخاطب قومه ويتعامل معهم هو والملأ ويريهم ما يرى لمجرد كونه تبنى فكرة يصر عليها ويعرضها كأنها حقيقة مطلقة، تخيل هؤلاء المستكبرين، هذا حالهم، الضعفاء هؤلاء الذين وكّلوا غيرهم أن يتخذوا قرارات ينظرون للأمور، يوم قالوا لهم: "الشحم مضر"، قالوا لهم: "القول قولكم!"، هذا ليس محرمًا في ديننا، بل هذا حلال، توصلونه إلى درجة كأنه محرم، قالوا لهم" اللحوم تضركم!" وأوصلوه لدرجة أنه محرم! قالوا: "هذا ينفعكم وهذا يضركم!" جعلوه دينًا، وهنا دائمًا يحصل اللبس، أن هذه أمور دنيوية ومسائل ليست تشريعًا ودينًا! نقول انظروا إلى سورة النعام، كيف جعلها ربنا من أعظم السور التي نزلت في القرآن تتكلم عن أن التحليل والتحريم وما في درجتهما هذا حق لله، لا تسلم عقلك لغير الله. وهذه

الأمثلة بسيطة مقابل أشياء أعظم منها، فكيف ينظر الناس للدنيا، ينظرون للمال، ينظرون للجمال. كل هذا يوجد فيه مستكبرين وفيه ضعفاء، المستكبرين يرسون لهم الطريق، والضعفاء يسيرون وراءهم. حين نضرب أمثلة بسيطة لا يقصد أن هذه الأمثلة بالضبط هي التي توصل الإنسان لأن يكون تابعًا، لكن على ذلك فقِس، انظر للناس في كل سنة وهم يقولون لك: "هذا هو اللون المفضل لي!" بناء على أن هؤلاء القوم أو هؤلاء القوم قرروا أن هذا لون السنة، وهم في هذا الباب يعتبرون أتباعًا. هذه التبعية الفكرية مؤشر يخيفك، يجعلك تفكر أكثر؛ ما مقدار استقلالنا الفكري؟ وهذه الأمثلة البسيطة لا يُقصد بها أن هنا تحصل المتابعة، هذه الأمثلة فقط لتثير الذهن أن هناك أناس يقودوننا ونحن لا نشعر، مستكبرين ويجعلون ذوقهم هو الذوق، ورأيهم هو الرأي وفكرهم هو الفكر. فتصور حين تسمع، مثلا، أن الشيطان أغوى الأبوين فسقط عنهما لباسهما، وتسمع الخطاب في سورة الأعراف أن رب العالمين يحذرنا من أن يفعل بنا الشيطان نفس الفعل ويوصلنا إلى نفس الحالة، ويكشف لنا عوراتنا، ثم ترى نساء المؤمنين الذين يقرؤون هذا في كتاب الله حين يحكم عليهم

المستكبرون أن هذا هو الذوق وهذه هي الموضة فيكشفوا أبدانهم مستجيبين، وعلى ذلك فقِس!

فيقولون يوم القيامة: (إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ) وهنا لا نتكلم أن المعاصي هي التي تفعل هذا الأمر، مثل هذه الحال في مسألة المتابعة، تصل إلى درجة أن يتخلى الإنسان عن الحق، هذه كالنماذج التي تشير إلى استسلام الإنسان، لكن هذا الاستسلام يطول ويعرض في حياة الإنسان حتى يدخل الشك -والعياذ بالله- في الدين وفي الشرع فتُنتقد أحكام الله على آراء هؤلاء الكفرة الفجرة، المتكبرين. يوم القيامة لن ينفع أن يقولوا لهم: (إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا)، "تبعًا" كأنهم تسلسلوا بالانقياد، تابعين لهم كأن في رقبتهم قيدًا! وأولئك يسحبونهم. (فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ) كنا تبعًا فماذا نفعل لما جاء العذاب؟ فهم يقولون لهم: (لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ)، هم أصلًا ما كانوا مستكبرين إلا بسبب هؤلاء الذين ضعفت عقولهم وقبلوا أن يجعلوا مثل هؤلاء سادة عليهم. (فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ) لو شيء بسيط، احملوا عنا كذا، وكذا. فاحتجوا بالقدر وهذا الاحتجاج لا ينفعهم، وفي النهاية يختمون الأمر بأن الآن: (سَوَاءٌ عَلَيْنَا

أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ)، يطلبون منهم أن يستسلموا كما طلبوا منهم في الدنيا أن يستسلموا لهم، ونجحوا في الاستسلام الأول. وهذا -الحقيقة- يحتاج إلى فهم ومناقشة وتفكير، وقد تكرر في القرآن الكلام عن السادة والأتباع لخطورة هذا الشأن، ولكونه يحصل بدون أن يشعر الإنسان، السيد ما يجب أن يكون سيدًا يقف ويخطب على منبر؛ لأنه من البداية أنت سمعت: (وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا) كانوا متخفين في الدنيا، ويطلقون قراراتهم، ويقودون الخلق، والخلق في موقف ضعف لكنهم يعتقدون أنفسهم أنهم هم المختارين، كأنهم هم اختاروا، وهذا سيتبين جيدًا حين يأتينا الكلام الذي سيخطب به الشيطان -والعياذ بالله- في أهل النار.

لما قُضي الأمر الشيطان يخبرهم بالحقيقة، يخبرهم كيف هم أصبحوا تابعين له، هو الذي كان يقودهم. بكلمات مختصرة، هذا الموضوع طويل يحتاج إلى مناقشة، نهاية كلامه أن (لَا تَلُومُونِي)، لا يلومني أحد منكم، (مَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ) ما كنت أحبسكم وأربطكم وأضربكم حتى تقوموا بما أمرتكم، إنما فقط (دَعَوْتُكُمْ)، ونلاحظ الفاء (فَاسْتَجَبْتُمْ لِي) يعني بمجرد أن قلت لك: "قل كلمة خبيثة" قلت كلمة خبيثة! بمجرد أن

قلت لك: "انظر للحرام" نظرت للحرام، أنت فورًا فعلت هذا الفعل وأيضًا تماديت في هذا الفعل.

(لَا تَلُومُونِي) يقول لهم (مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ) لن أنقذكم مهما طلبتم مني الإنقاذ فلن أفعل، بل يقول: (إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ) يا الله! هذه القيادات المتصلة؛ الضعفاء والمستكبرين، والضعفاء والمستكبرين مع الشيطان، كلها سلاسل قادت الناس للهلاك. لذلك رب العالمين يقول: (إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) ما ظلمهم الله، الناس ظلموا أنفسهم، بماذا؟ سيتبين الآن.

مقابل هذا وكل هذا الذي يحصل من الحوارات بين المستكبرين والمستضعفين، وبين الشيطان مقابله أن الله -عزَّ وجلَّ- يقول لنا عن أهل الإيمان: (وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ) من البداية الإيمان "بإذن ربهم"، لكن الله يأذن لمن أقبل عليه. انظر كيف هم سالمون (تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ) هذا معنى عظيم وقد تكرر الخبر عنه في القرآن، وفي وسورة الأنبياء يخبرنا -عزَّ وجلَّ- أنهم (لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا) أبدًا، سالمين، مرتاحين.

الآن سيأتينا السبب الذي بسببه هؤلاء نجوا والسبب الذي بسببه أولئك لم ينجوا، بل حتى أعمالهم الصالحة لم تعتبر شيئا. سنقرأ الآيات (24) و(25) أولًا:

(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (24) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)

هذا المثل من أشهر الأمثال المضروبة في القرآن وفهمه يسير جدًا، لكن سنبتدئ بالأمر المهم الذي يربطنا بالسياق. رب العالمين يقول: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً) حوارنا حول الكلمة الطيبة، هذه الكلمة الطيبة، كما ذكر أهل العلم، بل وقد ذُكر الاتفاق على أن "الكلمة الطيبة هي لا إله إلا الله"، أو المؤمن الذي يحمل الكلمة الطيبة. في النهاية الكلمة الطيبة المقصود بها كلمة "لا إله إلا الله" تصور كلمة "لا إله إلا الله" ونحن في سورة تتكلم عن الصراع بين الحق والباطل، والمسألة فيها مناقشات والرسل تقول وأهل الكفر يقولون ويوم القيامة هؤلاء يقولون، وهؤلاء يقولون. فما شأن الكلمة؟ كأنه يقال إن الصراع إنما هو بين كلمة طيبة وكلمة خبيثة. الصراع صراع كلمة الحق

مع كلمة الباطل، كلمة الحق تأتي ويكون لها أتباع، وكلمة الباطل يضعونها أمام كلمة الحق وينصرونها. فالسورة ضُرب فيها مثل بأصل الصراع، أصل الصراع صراع مصطلحات وكلمات، وهنا إشارة مهمة، أن الكلمة التي سنقولها ليست كلمة على اللسان ولا شيء منها في الوجدان أبدًا. كلمة التوحيد، كلمة "لا إله إلا الله"، إذا أردت أن يكون لها حقيقة فألقِ ببذورها في الفؤاد فتخرج شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، في مقابل أن كلمة الشيطان، كلمة الباطل، حين تقع في قلوب الناس لن تخرج إلا أعمالًا خبيثة.

فانظر إلى أي درجة الكلمة شيء مهم، تصور أن التوبة عبارة عن ماذا؟ كما قال الله عزَّ وجلَّ (فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ)[3] كلمات باللسان معانيها موجودة في الوجدان. ربنا ابتلى إبراهيم بكلمات، آمن بها إبراهيم -عليه السلام- ولما أتت المواقف والأحداث ثبت. فهنا يجب أن نعلم خطورة الكلمات وما هو ارتباط الكلمة بالصراع، وارتباطها بالثبات. الشيطان كيف غَالَب آدم عليه السلام؟ غيّر اسم الشجرة فقط، قال: (هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ)[4]، يعني معنى ذلك أن

---

[3] () البقرة: 37.

[4] () طه: 120.

تغيير الأسماء، وتغيير المصطلحات، والتلاعب بها أمر خطير، تصور أن الطلاق كلمة، الظهار كلمة، تصور كيف أن الكلمات لها أثرها. هذه الكلمات هل هي مجرد كلمات تجري على اللسان؟ هذه الكلمة حين تجري على اللسان تعطي انعكاسات في داخل الوجدان. مثلًا، ورد في الحديث: «ليشرَبنَّ ناسٌ من أمَّتي الخمرَ يُسمُّونَها بغيرِ اسمِها»[5] أولًا غيروا الاسم ثم بدأ يحصل في القلب القبول لها. مثله تصور مسألة القتال في سبيل الله، حين نعبر عنه نقول: "المجاهد في سبيل الله"، كما في الحديث: «مَن قاتَل لتكونَ كلمةُ اللهِ هي العليا فهو في سبيلِ اللهِ»[6].

إذًا كلمة، الكلمة تقال باللسان ثم تؤثر على الوجدان. فانظر إلى كلمة "النصارى" تعالى الله عما يقولون، قال رب العالمين: (كَبُرَتْ كَلِمَةً) الكلمة هذه كبيرة (تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ)[7].

المقصد أن نعرف أن الكلمات لها آثار عظيمة في تغيير تفكير الإنسان، بل النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- أخبر أنه يخاف على أمته خوفًا أكثر من خوفه من

---

[5]() أخرجه أبو داود (3688).

[6]() أخرجه البخاري (123).

[7]() الكهف: 5.

الدجال، قال: «لأنا من غيرِ الدَّجالِ أخوفُ عليكم من الدَّجالِ، فقيل: وما ذلك؟ فقال: من الأئمةِ المضلِّينَ»[8] الأئمة المضلين، الذين يتلاعبون بالكلام.

هذا كله يفهمنا أن الصراع مبني على الكلام، والكلمات، فإن ثبت أهل الحق على كلمة الحق انتصر الحق. وإن تخلخل حال أهل الحق ذهب الحق، ذهب الحق منهم، لكن الله -عزَّ وجلَّ- حافظًا دينه.

شبهت هذه الكلمة الطيبة، التي هي عبارة عن بذرة في القلب، هذه البذرة جعلت لها جذورًا، سُقيت بالعلم، وجعلت لها جذورًا، كلمة طيبة أصبح لها جذور. الكلمة مثل البذرة ألقيت في أرض الفطرة، ونلاحظ أرض الفطرة. سقيت بماء العلم، بماء التفكر، بماء التدبر ثم جعلت لها جذورًا عميقة، شجرة نتصورها بذرة في أرض طيبة، سقيت بماء طيب، دخلت في أعماق الأرض فأصبحت ثابتة،(كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ) هذه عقيدة استقرت في القلب.

(وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ) انتقلنا إلى أن هذه البذرة أخرجت ساقًا، ما شأن هذه الساق؟ مرتفعة باسقة في

---

[8]() أخرجه أحمد (21297).

السماء، وهل لها ثمار؟ نعم، (تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ) تعطي ثمرها كاملًا طيبًا في كل وقت لا ينقطع، بل هو دائم مستمر، وهذا كله بمشيئة ربها (بِإِذْنِ رَبِّهَا). هذا المعنى تكرر، لما ضرب مثل الكلمة الطيبة -سبحانه وتعالى- وأنها تخرج ثمارًا قال (بِإِذْنِ رَبِّهَا) ولما أخبر عن أهل الإيمان أنهم في الجنان، وأنهم خالدون قال: (بِإِذْنِ رَبِّهِم)، ولما أخبر عن إخراج الناس من الظلمات إلى النور بهذا الكتاب قال: (بِإِذْنِ رَبِّهِم) ما أعظمه من رب سبحانه وتعالى!

فانظر كيف شُبهت كلمة التوحيد في رسوخها، مثل جذور هذه الشجرة، وكيف شُبه ساقها بالأعمال الصالحة، وكيف لا تزال هذه الكلمة تثمر الثمار اليانعة من أعمال صالحة وأقوال طيبة وأفعال جميلة في كل وقت.

فالمؤمن مثل هذه الشجرة الطيبة، حاله حال طيبة في قوله، في عمله، في نيته، وهناك ثبات في كل وقته ليلًا ونهارًا، لا زال يرفع له عمل صالح آناء الليل وأطراف النهار، فهو يتقلب في رياض الأعمال الصالحة بين ذكر وعمل صالح وعبادة ونفع، وإحسان، من أصناف

الخيرات. فمثله كمثل هذه الشجرة التي تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

(وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) يتذكرون ماذا؟ يتذكرون هذه الحقائق المعنوية التي في النفس، وقد ورد في الحديث أن هذه الشجرة الطيبة هي النخلة، فتصور حال النخلة وحال ثباتها، حتى أن النخل لا يموت إلا وهو واقف، ما يسقط مثل بقية الأشجار من ثبات جذره! وقد ذُكر -وهذه أشياء تستطيع أن تطلع عليها بسهولة- أنه كيف يمكن أن تمد النخل جذورها في الأرض خمسة عشر مترًا، وتأتي بخيرات الأرض من أسفل، حتى أن النخل يزرع في مكان فيطيب أرض هذا المكان، مثل المؤمن أينما تضعه يكون مباركًا، سبحان الله. وانظر إلى ثمار النخل، والاستفادة منها طول العام، من ثمرها، من بقية أجزائها، فهذه النخلة انظر لها (أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ) ودائما لها نتاج وكذلك كلمة التوحيد، أصلها ثابت، راسخ في قلب المؤمن، عقيدته ثابتة، نلاحظ أن العقيدة من العَقد والشَّد والتثبيت والإحكام، فكلمة التوحيد أصلها ثابت في نفسه، وفروعها الصاعدة في السماء هذه ارتفاع الأعمال إلى الله، وتأتي بثمرات دائمًا. يرتفع له عمل، ثم الثمرة عمل

آخر وآخر، كذلك كلمة التوحيد، لا زالت تثمر وتخرج هذه الأعمال الصالحة للمؤمن.

إذًا انظر للصفة الأولى لهذه الشجرة: كونها طيبة في منظرها، طيبة في ثمرها، في منفعتها، وثمرتها أفضل الثمار. لو تكلمنا عن النخل فهو فاكهة وحلوى، وغذاء، وعسيبها وليفها، كل هذا يستفيد منه الناس.

والصفة الثانية: أن أصلها ثابت يعني ضارب بعروقه في الأرض، فهذه الشجرة لا تزعزعها الأعاصير حينما تهب الرياح العاتية، وكذلك أهل التوحيد لا تزعزعهم أعاصير الباطل، ولا تعصف بهم معاول الطغيان الفكري والصوارف والمثبطات. الناس متفاوتون في قوتهم، أناس ثابتون كالجبال الرواسي، وبعضهم أضعف وأضعف على حسب تحقيقهم كلمة التوحيد.

الصفة الثالثة: (فَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ) شامخ عالٍ، وكذلك كلمة التوحيد؛ تعلو ولا يعلى عليها (كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا).

الصفة الرابعة: أنها تؤتي خيراتها كل حين، ثمراتها لا تنقطع، وهكذا كلمة التوحيد تثمر من هذه الخيرات والأعمال الصالحة والأقوال الطيبة حتى بعد موت الإنسان. الإنسان الموحد تبقى تجري عليه الحسنات.

من أحسن من تكلم في هذا المثل، وننصح بقراءة كلامه، ابن القيم -رحمه الله-، له كلام جميل لكن الوقت يضيق عن نقله.

هذه كانت الكلمة الطيبة، سيقابل الكلمة الطيبة، الكلمة الخبيثة، هذه الكلمة الخبيثة على عكس الأولى في صفاتها، فتجد الكلمة الخبيثة من أصلها، من أولها، من بدايتها، ليس لها أصل ثابت في الأرض. وقد ذكر أهل العلم أن الكلمة الخبيثة هي الحنظل، سواء كان الحنظل أو غيره، لكن قالوا "الحنظل لأنه من الشجر الذي إذا زدت سقيه زاد مرارته!" هذه الشجرة موصوفة بالخبث، هذه الشجرة اقتلعت من الأرض، لا أصل لها، إذا لم يكن لها أصل في الأرض فليس لها فرع في السماء، وليس لها ثمرة ولا منفعة.

نقابل بين الشجرتين: شجرة طيبة وشجرة خبيثة. الشجرة الخبيثة اجتثت من فوق الأرض، بسهولة اقتلعت، أقل ريح قلعتها، وهكذا أهل الباطل وأفكارهم، أقل كلام يذهبهم ويذهب أفكارهم. وها هي الشيوعية انطوت وذهبت، وأتى بعدها عدد من الأفكار وانطوت وذهبت. (اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ) كذلك الأفكار الباطلة، كلها كلمات لا ثبات لها ولا خير

فيها ولا يصعد لها عمل صالح إلى السماء، ولا يُتقبل من أهلها الذين بنوا حياتهم على أفكار باطلة، فليراجع أهل الإيمان أفكارهم، فليراجع أهل الإيمان اعتقاداتهم، فليراجع أهل الإيمان توكلهم ويقينهم، فليراجع أهل الإيمان ما يعرفونه عن ربهم، ويقلعون كل شجرة خبيثة من قلوبهم، كل فكرة باطلة. نحن مقبلون على أيام فاضلة، فنسأل الله أن يطهر قلوبنا من أي نبتة خبيثة تفسد علينا حياتنا، ولنسأل الله، كما أمرنا؛ لأن في الآية التالية مباشرة أخبر الله -عزَّ وجلَّ- بهذا المعنى المهم: (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) هذا القول الثابت، كلمة التوحيد التي في الفؤاد، التي نرجو أن نعيش ونموت عليها.

القول الثابت هو القول الصادق الحق، الثابت في قلوب المؤمنين؛ شهادة "أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله"، يثبتهم الله بهذا القول في موضعين:

الموضع الأول: في الحياة الدنيا على الإيمان؛ لأننا نتكلم عن صراع، الحياة تتقاذف أمواجًا حولنا من الشهوات والشبهات، ما أكثر الذين يتساقطون ويتهاوون أمام هذه المغريات.

الموضع الثاني للتثبيت: في الآخرة، وهذا وقت القبض، وعند سؤال الملكين، وفي اللحظات العظيمة وقت خروج الإنسان من القبر. يعني وقت خروج روحه من الدنيا، وقت دخوله في قبره ويسأل، وقت خروجه من قبره، فالإنسان يحتاج إلى الثبات عند الممات؛ لأن هذه اللحظات والسكرات لحظات عصيبة؛ لذلك نحن نتعوذ من فتنة الحياة ومن فتنة الممات.

(يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) كما تبين، في مقابل ذلك الذين ظلموا أنفسهم من الكفار والمنافقين، والمشركين بسبب ظلمهم لأنفسهم وترك أرض قلوبهم للحشائش تنمو فيها، وللأفكار يتلقفونها، وكلما تكلم أحد استقبلوا كلامه وجعلوا قلوبهم مرتعًا لهذه الحشائش التي أخذت قوة قلبهم، هؤلاء ظلموا أنفسهم بعدم العناية بأرضهم، فكانت النتيجة أن كان فيها الكلمة الخبيثة.

نسأل الله بمنّه وكرمه أن يجعلنا من الموفقين بالتثبيت، ويعيذنا أن نكون من المخذولين بالترك، نحن في اضطرار شديد إلى معية الله، ونحن في اضطرار شديد إلى تثبيت من الله؛ لذلك نسأل الله أن يطهر قلوبنا

من الوساوس الشيطانية والأفكار الباطلة، ونسأله -عزَّ وجلَّ- أن يثبت في قلوبنا الإيمان، ويدفع عنا وساوس الشيطان. من أكثر ما يضر الإنسان أن يترك في قلبه مجال لوسوسة الشيطان. فلنكثر من الاستعاذة كلما خطرت علينا خاطرة مخيفة في الإيمان نستعيذ بالله ونهرب إلى الله، ونسأل الله الثبات؛ لأنه لا يكون الثبات إلا بإذن الله.

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يجعلنا نحن وأحبتنا وذرياتنا وأحبابنا من المسلمين، والمسلمين أجمعين، يا رب العالمين ثبتهم على الدين، اللهم آمين، واجعلنا سببًا لثبات المسلمين، واجعل ثباتهم في موازين حسناتنا. اللهم انشر العلم واجعلنا سببا لنشره، اللهم آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته